بعض انحرافات مؤلفي دائرة المعارف الإسلامية

في كتاباتهم عن الشيعة والمعتزلة والصوفية

إعداد

د. خالد بن عبدالله القاسم

مقدمة:

شعر المستشرقون في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم باللغات الثلاث والألمانية والإنجليزية والفرنسية، فدعوا إليها في سنة ١٨٩٥م وكلفوا هوتسما[١] بإنشائها ومطبعة ليدن بإصدارها، واستعين بالمجامع ومؤسسات نشر العلم في أوروبا قاطبة للإنفاق عليها[٢].

بدأ تأليفها سنة ١٩٠٦م ومن أوائل من بادر بها هوتسما، وحرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند الهولندية[٣].

ثم حل محله فيما بعد فنسنك[٤] عام ١٩٢٤م، وتولى تحرير النسخة الألمانية شادة[٥]، وهارتمان[٦]، وبوبير[٧]، وهفننك[٨]، وتولى تحرير النسخة الفرنسية رينيه باسة[١]، وأشرف أيضاً

---

(١) هوتسما: مستشرق هولندي (١٨٥١م – ١٩٤٣م) تخرج باللغات العربية والفارسية والتركية في جامعة أوترخت، وعلمها فيه، حصل على الدكتوراه من ليدن على رسالته (النزاع حول العقيدة في الإسلام) وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، (انظر الأعلام للزركلي ٢٥٢/٥، المستشرقون للعقيقي ٣١٥/٢، وموسوعة المستشرقين لبدوي ٤٢٨-٤٢٩)، حرر في الدائرة عدة مواد منها (القاديانية، والسلاجقة).

(٢) المستشرقون للعقيقي ..

(٣) المستعمرات الهولندية في جنوب شرق آسيا كإندونيسيا وماليزيا وغيرها.

(٤) فنسنك: مستشرق هولندي (١٨٨٢م – ١٩٣٩م) من أشهر المستشرقين وأكثرهم إنتاجاً، تعلم اللغة العربية وأصبح أستاذاً في جامعة ليدن، ألف معجماً للحديث النبوي وترجمة محمد فؤاد عبدالباقي وسماه (مفتاح كنوز السنة) ووضع بمساعدة غيره المعجم المفهرس للحديث النبوي وهو من أكثر المستشرقين كتابة في الدائرة، (انظر الأعلام للزركلي ٢٨٩/١، المستشرقون للعقيقي ٣١٩/٢-٣٢٠، وموسوعة المستشرقين للبدوي ٢٨٩-٢٩٠)، حرر ٧٥ مادة متنوعة وكثير من كتاباته يرجع الشريعة الإسلامية إلى مصادر يهودية ونصرانية.

(٥)شادة: مستشرق ألماني (١٨٨٣م – ١٩٥٢م) درس اللغات الشرقية وعين أستاذاً في جامعة هامبورج وفي الجامعة المصرية ثم مديراً لدار الكتب المصرية بالقاهرة، من آثاره: كتاب الشريعة الإسلامية، (انظر المستشرقون للعقيقي ٤٤٨/٢ – ٤٤٩، ٣٧١/٣)، وحرر ٣٢ مادة في الدائرة في الطبعة الأولى أغلبها في اللغة والأدب.

(٦) هارتمان: مستشرق ألماني (١٨٨١م – ١٩٦٥م) درس العربية وتعين أستاذاً لها في جامعة برلين، ومديراً لمعهد اللغات الشرقية ببرلين، وانتخب عضواً في مجامع كثيرة منها المجمع العلمي العربي بدمشق، له آثار كثيرة منها: تفسير القرآن، ودراسات عن البدو وعن الوهابيين، (انظر المستشرقون للعقيقي ٤٤٥/٢-٤٤٦)، حرر في الطبعة الأولى ٣٧ مادة لمواقع جغرافية في آسيا، ووصف العقيدة الإسلامية بالتشدد، وطعن في دعاة الإسلام.

(٧) بوبير: لم أجد له ترجمة ووجدت ترجمة لمستشرق ألماني باسم سالمون بوبير نشر رسالتين فيما وراء الطبيعة للبهلواني ولم أجد له سوى ذلك، (انظر المستشرقون للعقيقي ٣٦٠/٢).

(٨) لم أجد له ترجمة.

على جميع الأبحاث المتعلقة بشمال أفريقيا، ثم خلفه ابنه هنري[٢].

وتولى تحرير النسخة الإنجليزية أرنولد[٣] فأشرف على جميع الدراسات المتعلقة بالبلاد المتصلة ببريطانيا ما عدا مصر[٤].

ثم عهد بالمقالات المختلفة في كل موضوع من موضوعاتها إلى مستشرقين آخرين يوقعون على ما يكتبون.

وأصيب نشاط لجنة الدائرة بعد الحرب العالمية الثانية بشيء من الاضطراب وقضي على بعض أعضائها في ساحاتها ثم استأنفت من بعد نشاطاتها بإشراف كرامرز[٥]، وجب[١]،

---

(١) رينيه باسيه: مستشرق فرنسي (١٨٥٥م – ١٩٢٤م) تخرج من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وأسند إليه تدريس العربية بمدرسة الآداب العليا بالجزائر ودرس فيها أيضاً الحبشية والتركية والبربرية، كتب في مجلات استشراقية عديدة ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة ١٩٠٥م، عينته وزارة الخارجية قنصلاً لها في الجزائر وانتخب عضواً في مجامع كثيرة وله آثار بالعربية والبربرية والحبشية، كتب عن المسلمين في الصين والشعر العربي قبل الإسلام، (انظر المستشرقون للعقيقي ٢١٨/١، ٣٧١/٣)، حرر في الدائرة في الطبعة الأولى والثانية ٢٥ مادة عن الغرب العربي والبربري وقد ذم مذهب الإمام مالك ووصفه بالتشدد وكذلك المرابطين والصوفية.

(٢) هنري باسيه: مستشرق فرنسي (١٨٩٣م – ١٩٢٦م) تخصص بدراسة المسلمين تاريخاً وأدباً واجتماعاً، عين مديراً لمعهد الدراسات العليا بالرباط، تحدث عن الغرب وخاصة الآثار، (انظر المستشرقون للعقيقي ٢٨٩/١، مستشرقون لنذير حمدان ١٢٠) لم أجد له كتابات في الدائرة ولعله أشرف من غير أن يكتب، ووجدت له خارجها كتاب وفيه (الرجل المطرود من قبيلته على أثر خطأ أو جرم يجد نفسه في وضعية بائسة وهذه كانت حالة محمد في فترة ما)، انظر الإسلام: هنري باسيه ٢٤–٢٥ ترجمة بهيج شعبان إصدار عويدات بيروت د. ط.ت.

(٣) أرنولد توماس: مستشرق ومؤرخ إنجليزي مشهور (١٨٦٤م – ١٩٣٠م) تعلم في بريطانيا ودرس في عليكره في الهند ثم في بريطانيا أستاذاً في تدريس الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن ثم عميداً لها إلى وفاته، لم تظهر في كتاباته التعصب له كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام) وترجم إلى عدة لغات أظهر فيه إعجابه بالإسلام، (انظر الأعلام للزركلي ٩٤/٢، والمستشرقون للعقيقي ٨٤/٢، ومستشرقون لنذير حمدان ١٢٠)، حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ١٣ مادة متنوعة.

(٤) المستشرقون للعقيقي ٣٧١/٣.

(٥) كرامرز: مستشرق هولندي (١٨٩١م – ١٩٥١م) عمل ترجمان للسفارة الهولندية في الآستانة، وعين أستاذا للتركية والفارسية في جامعة ليدن، ثم خلف فنسنك على كرسي العربية فيها له بعض الكتب والمقالات في التاريخ والجغرافيا والشريعة، (انظر المستشرقون للعقيقي ٣٢١/٢)، حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ٥٧ مادة جغرافية وتاريخية ولا يظهر من كتاباته التعصب بل اتهم المصادر الأوروبية بعدم الإنصاف في تاريخ العثمانيين، انظر الدائرة الأولى ١٥٢/١٢ سليمان القانوني.

وليفي بروفنسال[٢]، بنشر طبعة جديدة منقحة سنة ١٩٤٥م ثم اجتمعت في روما سنة ١٩٥٦م وقبلت استقالة جب، فأصبحت لجنة التحرير مكونة من شاخت[٣] وشار بيلا[٤]، وبرنارد لويس[٥] ثم عقد بعد ذلك دورات تتغير فيها اللجان مع بقاء الهدف.

وكانت مؤسسة روكفلر منحتها ٤٥ ألف دولار لاستكمالها سنة ١٩٦٢م.

---

(١) هاملتون جب: من أكبر مستشرقي إنجلترا في وقته، (١٨٩٥م – ١٩٧١م)، ولد في الإسكندرية وتعلم في إنجلترا، وترحل في الدول العربية عمل أستاذا للعربية في اكسفورد ثم هارفارد الأمريكية عين عضواً بالمجمع اللغوي المصري وعضواً في المجمع العربي بدمشق وبغداد، كتاباته في غاية الخطورة، حيث كتب في التاريخ الإسلامي والمذاهب الإسلامية وحاول أن يرد كل تقدم في الإسلام إلى المسيحية، كما حاول أن يرد الأدب العربي إلى الثقافة اليونانية، (انظر المستشرقين لبدوي ١٠٥-١٠٦، المستشرقون للعقيقي ١٢٩/٢-١٣٠، ٣٧٢/٣)، حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ١٧٠ مادة أغلبها تراجم متنوعة وقد كتب متنقصاً لأبي عبيدة رضي الله تعالى عنه.

(٢) ليفي بروفنسال: مستشرق يهودي فرنسي (١٨٩٤م – ١٩٥٦م) ولد في الجزائر وتخرج في كلية الآداب فيها، اشترك في الحرب وعين ضابطاً في الشئون الإسلامية بالمغرب ثم أستاذاً بمعهد الدراسات العليا بالرباط ثم مديراً له، نال الدكتوراه في لغة قبائل شمال المغرب، كلفته حكومته بمهام بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق، كان كثير الاشتغال بالمخطوطات العربية، كوفئ على جهوده في الحرب والاستشراق بأوسمة عديدة، وعضوية مجمعات عدة منها المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة، (انظر الأعلام للزركلي ٣٥/٢، والمستشرقون للعقيقي ٢٩٣/١-٣٠٠)، حرر في الدائرة ٦٨ مادة في كلا الطبعتين عن المغرب العربي وأسبانياً ولا يظهر من كتاباته التعصب.

(٣) يوسف شاخت: مستشرق يهودي ألماني (١٩٠٢م – ١٩٦٩م)، تخرج في جامعتي برسلاوا وليبزيج وعين أستاذا في جامعة فرابورج، ثم الجامعة المصرية ثم درس في الجزائر وتجنس بالبريطانية ودرس في قسم الدراسات الإسلامية باكسفورد، ثم ليدن ثم كولمبيا بأمريكا إلى وفاته، انتخب في مجامع عدة منها المجمع العلمي بدمشق، اشتهر بدراسة التشريع في الإسلام، (انظر الأعلام للزركلي ٢٣٤/٨، والمستشرقون للعقيقي ٤٦٩/٢-٤٧١)، حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٣٢ مادة عن الشريعة مليئة بالتعصب والحقد وهو من أكثر الكتاب المشككين في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اتهمه في عدم العدل في توزيع الأموال وأن الزكاة عرفها النبي صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة، كما هاجم كثير من فقهاء المسلمين كالشافعي والحنابلة وابن تيمية وابن القيم وهاجم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٤) شار بلا: مستشرق فرنسي ولد في الجزائر ١٩١٤م، درس اللغة العربية والبربرية في الجزائر ثم دكتوراه الآداب من باريس تقلد عدة مناصب علمية في مراكش ثم السربون ثم مديراً لقسم الدراسات الإسلامية في باريس له آثار تقارب الاربعمائة في المجلات العلمية ودائرة المعارف، (انظر المستشرقون للعقيقي ٣٥٣/١-٣٥٧) حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٤٦ مادة غالبها عن الأدب.

(٥) برنارد لويس: مستشرق إنجليزي ولد في سنة ١٩١٦م، درس الدراسات الشرقية بلندن ثم درس بجامعاتها وهو عضو في كثير من الجمعيات والجامعات الأوروبية المعنية بالدراسات الشرقية له كتابات عدة عن الإسلام، (انظر المستشرقون للعقيقي ١٤٣/٢-١٤٥، ٣٧٢/٣)، حرر في الدائرة في الطبعة الثانية ٣٥ مادة غالبها عن الشام ولم أجد له فيها ما يدل على التعصب أو ضده.

فالطبعة الأولى صدرت خلال الأعوام ١٩١٣م – ١٩٣٨م باللغات الثلاث، والثانية بالإنجليزية والفرنسية فقط ١٩٤٥م ١٩٧٧م[١].

وقد عربت دائرة المعارف في ثلاث إصدارات هي:

١- **الإصدار الأول**: وقد بدأ إخراجها في سنة ١٩٣٣م في خمسة عشر مجلداً، كل مجلد يقارب خمسمائة صفحة اشتملت على مواد من حرف الألف حتى أجزاء من حرف العين، وبالتحديد انتهت بمادة (عارفي باشا) وطبعتها دار الفكر بالقاهرة.

٢- **الإصدار الثاني**: وقد بدأ إخراجها في سنة ١٩٦٩م في ستة عشر مجلداً كل مجلد يقارب ستمائة صفحة، واشتملت من حرف الألف وحتى أجزاء من حرف الخاء، وانتهت بمادة (خدا بخش) وهي مشتملة على ما وجد في الدائرة الأصل ورمزوا للمواد المضافة في الطبعة الجديدة بالرمز (+).

وقد بلغ عدد كتاب الدائرة في كلتا الطبعتين ٤٨٦ كاتباً، حرروا ٣٩٣٠ مادة وقد جعلت كل مادة رمزاً مستقلاً نظراً لاختلاف المواد والكتاب في دائرة المعارف.

وقد علق المترجمون وبعض الفضلاء على كلا الطبعتين تعليقات مفيدة وتنبيهاً على بعض الأخطاء وبقي كثير من الملاحظات التي لم يعلق عليها أو علق عليها تعليقات غير كافية.

٣- **الإصدار الثالث**: أصدره مركز الشارقة للإبداع الفكري سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية وفي هذا الإصدار تم عمل الآتي:

١- الاعتماد على الإصدارين الأولين المترجمين بما فيهما من تعليقات مع اختصار كثير من المواد والمعلومات والتعليقات الأقل أهمية، أو لكونها غير لائقة للقرآن الكريم أو لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بقي ملاحظات كثيرة لم تحذف وقد أخذت ٢٢ مجلد كل مجلد قرابة ٣٣٠ صفحة.

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٣/٣٧٢.

٢- تمت ترجمة ما بقي من الدائرة من حرف العين إلى حرف الياء مع اختصار لكثير من المواد الأقل أهمية، مع إضافة بعض التعليقات الجديدة، وقد بلغت ١٠ مجلدات فأصبح المجموع ٣٢ مجلد.

وقد قمت بدراسة الطبعات الثلاث للدائرة، وجعلت الإصدار الثالث هو الأصل، لأنه أجمع الإصدارات فقد اعتمدته ما لم أشر إلى غيره. وقد اتبعت المنهج الوصفي لما في الدائرة من تلك الانحرافات، ثم اتبعت ذلك بالمنهج النقدي، وما ذكرته إنما هو نماذج لتوضيح تلك الأخطاء[1].

وتعد دائرة المعارف الإسلامية أهم مؤلف استشراقي على الإطلاق وهذا يرجع لأسباب متعددة منها: العدد الكبير من أساطين المستشرقين المساهمين فيها، وكبر حجمها، وتنوع المعارف فيها، واستمرارية إخراجها، وتعدد لغاتها، حيث خرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك، وتعد بحق خلاصة الفكر الإستشراقي لذا لا يستغني عنها أي باحث في علم الاستشراق.

ومن هذا التمهيد تتبين أهمية دراسة تلك الموسوعة من جميع جوانبها، وقد منَّ الله عليَّ بقراءة الدائرة ودراستها في مرحلة الدكتوراه، الإصدار الأول والثاني، حيث لم يصدر الثالث إلا بعد ذلك وكانت بعنوان: العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية.

كما أتبعت ببعض الأبحاث التي لم تكن داخلة في رسالة الدكتوراه مثل: طعن الدائرة في الشريعة الإسلامية، وفي علماء المسلمين، وفي ابن تيمية، وفي دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما تناولت الفلاسفة والباطنية والزنادقة.

ويأتي هذا البحث ليتناول بعض انحرافات مؤلفي الدائرة في كتاباتهم عن الشيعة والمعتزلة والصوفية

---

(١) عند النقل من الدائرة يكتب في الهامش: الدائرة ثم رقم الإصدار ثم الجزء ثم الصفحة ثم المادة ثم الكاتب، وإذا لم أذكر رقم الإصدار فالمرجع الإصدار الثالث.

أولاً: الشيعة:

نجد في الدائرة بعض الحقائق عن الشيعة، ومن ذلك شدة خلافهم مع بعض، وتأويلهم للقرآن ليوافق ما يدعون[1]، ولكن فيها أيضاً أخطاء عدة، يرجع في بعضها إلى اكتفاء الكاتب بمراجع الشيعة في استقاء المعلومات.

ومن تلك الأخطاء:

جاء في مادة الشيعة تبرير موقف الحلوليين منهم: (هذا التصور: هو تصور ظهور الإله في أشخاص البشر، هذا التصور لم يكن غريباً، على محمد عليه السلام، لأن المسيح مثلاً كان في نظره (كلمة الله) [سورة آل عمران الآية ٤٠]، لكنه لم يجعل الوساطة في النجاة في شخص يكون بين الله والإنسان، .. إلى أي حد كانت آراء الشيعة من ظهور الإله في البشر، ومن شفاعة الإمام استمراراً مباشراً لتلك التصورات المماثلة التي ناطها بحسب ما يرويه ابن اسحاق بعض شعراء الإسلام الأولين بشخص محمد عليه السلام)[2].

قلت الجواب من وجوه:

الأول: أن ما استدل به الكاتب هو في الحقيقة دليل ضده حيث أن الآية الكريمة التي وردت فيها (كلمة الله) إنما هي رد على النصارى المغالين في عيسى عليه السلام، القائلين بالتثليث أو ببنوة عيسى، أو الزاعمين بتجسد الإله فيه، لا على حلول الإله كما زعم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾[3].

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/٥٧، ٦٣، ٧٢، الشيعة، شتروتمان.

(٢) الدائرة الأولى ١٤/٦٠-٦١، الشيعة، شتروتمان.

(٣) النساء ١٧١.

وتدل الآية أن عيسى عليه السلام خلق بالروح والكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام فنفخ في مريم عليها السلام والكلمة هي (كن فيكون)، التي كانت السبب في وجود عيسى عليه السلام[1]، وهو بذلك يتشابه مع آدم عليه السلام فكلاهما نفخ فيه الروح وقيل له: كن، فكان؛ لذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

الثاني: ليس بصحيح ما ذكره عن شعراء الإسلام الأولين، وقد ذكر ابن اسحاق مئات الأبيات، وليس فيها ما يدل على الحلول أو يكون بداية له، بل لم أجد الأبيات التي عناها، والمستشرق لم يذكر نص الأبيات حتى تناقش.

وإذا فُهم الكلام على غير وجهه بعد بيانه، فالآفة من الفهم، لا من كلام المتكلم.

وقد فهم أقوام من كتاب الله، الفهم الذي ينافي ما جاء به القرآن صراحة، بل استدلوا به على ما يدعون، كما فهم عبدالله بن عمرو بن الكندي من الشيعة من قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ﴾[3]. حيث قال: (إن من موصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم، ووصل إلى الكمال والبلاغ) [4].

ومثل زعم بيان بن سمعان: أنه هو المبشر بقول الله: ﴿هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[5]. وقال: (أنا البيان وأنا الهدى والموعظة) [6].

ومثل زعم بعض النصارى بأن القرآن يدل على التثليث بقوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم) لأنه ذكر ثلاثة أسماء، فأجابه بعض الظرفاء بأنك قصرت، وعليك أن تستدل

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٩٠.

(٢) آل عمران ٥٩.

(٣) المائدة ٩٣.

(٤) الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ١/١٥١-١٥٢، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ ٠ ١٩٨٠م.

(٥) آل عمران ١٣٨.

(٦) الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ٢٣٧، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، دطت.

بالقرآن على التسبيع، ووجود سبعة آلهة بمبدأ سورة المؤمن: ﴿حَم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1][2].

ففهم أولئك المنحرفين ليس بحجة على كلام الله تعالى، كما لا يصح كلام الكاتب أن تلك الأقوال المنحرفة استمرار مباشر للشعر الإسلامي في الصدر الأول، وكان عليه أن يأتي بذلك الشعر ويبين وجوه المماثلة، وأما الدعوة المجردة فليست بحجة.

علماً أن غالبية الشيعة لا يعتقدون بهذه العقيدة، وإنما يقول بها الغلاة منهم كالإسماعيلية والنصيرية والدروز.

كما جاءت تزكيتهم إلى درجة تفضيلهم على أهل السنة، ومن ذلك ما جاء في مادة الحديث: (الحديث: والشيعة سنيون أكثر كثيراً ممن يسمون أهل السنة، ولا يصح أن نرجع أحاديثهم إلى عهد جد متأخر، لأننا نجد أن بعضها يرجع على عهد متقدم، يرد إلى أبي الأسود الدؤلي) [3].

قلت: أما ما يتعلق بدعواه أن الشيعة سنيون أكثر من أهل السنة، فإن هذا القول مثير للعجب، حيث أن الشيعة ينكرون أكثر السنة النبوية بسبب تكفيرهم لغالب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حفظوا سنته ورووا حديثه، ومما يدل على ذلك ما رواه الكشي[4] عن جعفر الصادق[5]: (كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة: المقداد بن

---

(١) غافر (المؤمن) ١-٣.

(٢) إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الهندي ٩٣/١، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) الدائرة الأولى ٦١/١٤، الشيعة، شتروتمان.

(٤) محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي، من فقهاء الإمامية، اشتهر بكتابه (معرفة أخبار الرجال) توفي سنة ٣٤٠هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٣١١/٦، وهو من أعلمهم بالرجال.

(٥) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين الدين بن الحسين بن علي، رضي الله عن الجميع، لقب بالصدق لمبالغته في الصدق، له منزلة رفيعة في العلم أخذ منه العلم كثر من علماء عصره منهم أبو حنيفة ومالكن ومروياته في الكتب والسنة موجودة، كان صداعاً بالحق، جريئاً على خلفاء بني العباس، جعلته الرافضة سادس أئمتهم، ويكثر كذبهم

الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي)[1].

وكيف يكون كذلك، وهم أكذب الطوائف في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال عنهم الشعبي – وكان بهم خبيراً –: (لو طلبت منهم أن يملأوا لي هذا البيت ذهباً على أن أكذب على علي لأعطوني)[2].

وقال عنهم أمام السنة عبدالله بن المبارك[3]: (الدين الحديث والكذب للرافضة)[4].

ولم يكتفوا بذلك في السنة النبوية بل تجاوزوه إلى كتاب الله تعالى، حيث نجد في كتبهم الموثوقة عندهم الروايات على أئمتهم المشككة بكتاب الله تعالى، ومن ذلك ما ساقه الكليني[5] في الكافي عن أبي جعفر[6] أنه قال: (ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده)[7].

عليه كما كذبوا على أبيه من قبل، وكان رحمه الله يمقتهم إذا تعرضوا لجده لأمه أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، توفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ، أنظر: سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٥.

(١) رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي ١٢-١٣، تقديم أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات كربلاء دط.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/٢٣.

(٣) عبدالله بن المبارك المروزي ١١٨-١٨٠، قال الذهبي: عالم زمانه وشيخ الأتقياء في وقته، من أثبت العلماء في السنة، وقد أجمع أهل العلم على إمامته وجلالته، أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣٦-٢٧١.

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٧/٤١٢.

(٥) محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني فقيه إمامي من كلين بالري، كان شيخ الشيعة ببغداد، توفي ببغداد سنة ٣٢٩هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٧/١٤٥، وكتابه الكافي في علوم الدين من أمهات كتبهم.

(٦) محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، رضي الله عن الجميع، كان ناسكاً عابداً توفي سنة ١١٤هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٦/٢٧٠، اعتبرته الرافضة خامس أئمتهم وهم يكثرون من الكذب عليه.

(٧) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الأثنى عشرية، محب الدين الخطيب ١٤ دطت، نقلاً عن الكافي ٥٤ طبعة ١٢٧٨ بإيران.

ثانياً: المعتزلة:

جاء في الدائرة في مواضع كثيرة وصف عقائد المعتزلة[1] والمقصود هنا ما يتعلق بأخطاء بعض كتاب الدائرة ومن ذلك: (يسمح الله (جل جلاله) لأشخاص معينين ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم بأن يشفعوا للآخرين في يوم القيامة، وسوف يجيء محمد صلى الله عليه وسلم شفيعاً أيضاً لمن أخطأ من أمته، وقد أنكر المعتزلة ذلك على أسس قرآنية، ولكنه رأي لقي قبولاً عاماً في النهاية) [2].

وجاء في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد[3]: (.. جعل مذهب المعتزلة المذهب الرسمي للدولة، ومن ثم كان لأحمد شأن هام في محاكمة أحمد بن حنبل، ومع ذلك فقد أظهر في قيامه على هذا المنصب تسامحاً وإنسانية يندر وجودهما في تلك الأيام .. وطبيعي أن الكتاب من أهل السنة قد اشتدوا في الحكم على ابن أبي دؤاد، ولم يخفوا عداوتهم له في أمور الدين، ولكنهم جميعاً اعترفوا بعلمه الغزير وكرم أخلاقه) [4].

كما جاء تمجيد ثمامة بن أشرس[5] في قولهم عنه: (من المتكلمين، وهو إمام أهل الفكر الحر، في العصر العباسي الأول، وقد استدعاه كل من الخليفتين هارون والمأمون، على بلاطهما لسعة علمه، ورجاحة عقله، .. وكان فريد عصره في العلم والمعرفة، وخصماً في النقاش يخشى بأسه) [6].

---

(١) سبق لي دراسة سابقة عن المعتزلة في الدائرة، والمقصود هنا ما يتعلق بأخطاء بعض الكتاب.

(٢) الدائرة الثالثة ٢٣/٧٣٥٢، العقيدة، منتقمري وات.

(٣) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الأيادي ١٦٠-٢٤٠، من أئمة المعتزلة والقضاة المشهورين ورأس فتنة القول بخلق القرآن، انظر: تاريخ بغداد للإمام البغدادي ٤/١٤١.

(٤) الدائرة الثانية ٢/٢٨٢، أحمد بن أبي دؤاد، تستر شتين – بلا.

(٥) ثمامة بن أشرس النميري البصري من أئمة المعتزلة توفي سنة ٢١٣هـ انظر: طبقات المعتزلة، القاضي عبدالجبار ٢٧٢-٢٧٥، وتاريخ بغداد للإمام البغدادي ٧/١٤٥-١٤٨.

(٦) الدائرة الثانية ١٠/٣٤٢-٣٤٣، ثمامة بن أشرس، هورتن.

وبعد أن ذكر الجاحظ[1] وأدبه جاء: (ولم يكن الجاحظ يخرج عن حدود العقيدة رغم ما في هذا من بعض المشقة) [2].

قلت: من الطبيعي أن تعلي الدائرة من رموز المعتزلة، وأن تزور الحقائق لتمجيد أولئك القوم، وسأتناول هؤلاء الثلاثة، ولكن قبل ذلك ما يتعلق بالشفاعة، فإن المستشرق أورد (كان المعتزلة هم الذين يعتمدون على القرآن في نفي الشفاعة، والحق أن الشفاعة ثابتة بالنصوص القرآنية الصريحة المحكمة، وأما نفيها فليس نفياً كلياً وإنما لعدم تحقق شروطها، ذلك أن هناك في القرآن شفاعتان:

شفاعة أثبتها القرآن الشروط الشرعية : وهي أن يكون صاحبها من أهل التوحيد، ولازم ذلك أن تطلب من الله وحده، لأن الله تعالى ذم من طلبها من غيره، يقول سبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[3].
كما يشترط فيها: إذن الله ورضاه للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع، قال سبحانه: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[5] وقال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا﴾[7].
والشفاعة الأخرى: هي الشفاعة المنفية، وهي التي نفاها القرآن، وذلك لعدم تحقق الشروط السالفة كأن تكون من أهل الشرك، أو عدم تحقق إذن الله للشافع، أو عدم رضاه سبحانه عن الشافع والمشفوع، وقد جاءت الآيات الكريمة بنفي هذا النوع من الشفاعة، قال تعالى:

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني المعروف بالجاحظ ١٦٣ – ٢٥٥هـ، من أئمة المعتزلة كان حسن البيان، (انظر الأعلام للزركلي ٧٤/٥) ألف كتابه المختار في الرد على النصاري.
(٢) الدائرة الثانية ٣٨٤/١٠، الجاحظ، بلا.
(٣) الزمر ٤٣-٤٤.
(٤) البقرة ٢٥٥.
(٥) الأنبياء ٢٨.
(٦) النجم ٢٦.
(٧) طه ١٠٩.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

ولا يوجد في الشعر الإسلامي في الصدر الأول في الشفاعة إلا ما يوافق كتاب الله، وهي شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين الموافقة للشروط السابقة، أما الشفاعة المنفية الشركية فحاشا شعراء النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعوا فيها، ولم يذكر الكاتب الأبيات المقصودة.

فالذي في القرآن الكريم وشعر الصحابة هو ما تقدم من الشفاعة المثبتة.

أما عقيدة الشيعة في الإمامة وغلوهم فيها، فهو انحراف ينسب إليهم وحدهم لا إلى العقيدة الإسلامية التي مصدرها الكتاب والسنة.

إذ أن المعتزلة باعتراف الدائرة نفسها فرقة ناشئة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري[2].

أما ابن أبي دؤاد فهو على كرم وسخاء ومكارم، وكان شاعراً أديباً كما ذكر العلماء والمؤرخون[3]، واعتراف أهل السنة بذلك مع كرههم له دليل إنصافهم وعدلهم.

ومما ذكروه أيضاً سوء مذهبه، وجمع مع ذلك امتحان الناس بخلق القرآن وحملهم على ذلك بالقوة، قال الخطيب البغدادي: (أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن) [4].

وأما التسامح فهو منه براء، ذلك أنه حمل الناس على بدعة خلق القرآن، ودفع المعتصم إليها وحمل العلماء عليها، فقطعت أرزاق كثير منهم، وامتحنوا وعذبوا وجلد الإمام أحمد بل وشجع ابن أبي دؤاد الخليفة على قتله.

---

(١) الأنعام ٥١.

(٢) الدائرة ٣٠/٩٣٨٤، المعتزلة، حجرت

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٤/١٢٤، سير أعلام النبلاء ١١/١٦٩.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب ٤/١٤٢-١٥٣.

وقد رق قلب المعتصم على الإمام أحمد لما رأى تصميمه وصلابته، فأغراه ابن أبي دؤاد على ضربه، وقال له: إن تركته قيل أنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله.

وذكر الإمام أحمد أنه أفاق مرة من إغمائه حال تعذيبه فسمع المعتصم يقول لابن أبي دؤاد (لقد ارتكبت إثماً في حق هذا الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنه والله كافر مشرك قد أشرك من غير وجه)، فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد، وقد أراد تخليتي بلا ضرب، فلم يدعه[1].

فكان من جراء ذلك أن ضرب الإمام أحمد مئات السياط وحبس أكثر من سنتين، وأغمي عليه مراراً، وخرج منه الدم مدراراً، حتى قال أحد جلاديه: (لقد بطل أحمد بن حنبل الشطار، والله لقد ضربته ضرباً لو أبرك لي بعير فضربته ذلك الضرب لنقبت عن جوفه)، وقال شاباص أحد جلاديه: (لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً، لو ضربتها فيلاً لهدته)، وقال آخر للإمام أحمد لما أفاق من إغمائه: (كببناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك بارية[2] ودسناك) [3]، وأعظم من ذلك كله أن وصل بابن أبي دؤاد أن يقول للمعتصم: (يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل) [4].

ورغم كل ذلك فإن الإمام أحمد عفا عن المعتصم وكل من ضربه إلا صاحب بدعة مستشهداً بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [6]، فهذا هو التسامح الذي يجب الإشادة به[7].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٣/١١.

(٢) أي حصير.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٤٠٦-٤١٢، سير أعلام النبلاء ٢٤٨/١١-٢٥٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧٠/١١، ويقال أنه تراجع عن هذه القول ليس شفقة بالإمام أ؛مد، ولكن خوفاً من تأثر العامة بثباته كما صرح بذلك للمأمون لما أشير عليه بقتله، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٩/١١.

(٥) الشورى ٤٠.

(٦) النور ٢٢.

(٧) المناقب لابن الجوزي ٤٢٣، سير أعلام النبلاء ٢٥٧، ٢٦١.

وأما ثمامة فهو معتزلي ناف لصفات الله تنسب له فرقة الثمامية من المعتزلة، وكان ممن سعى بأهل السنة في فتنة خلق القرآن، وقيل: إنه هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال[1].

وقد انفرد عن المعتزلة بكثير من المسائل الجريئة المناقضة للكتاب والسنة، – وربما هي سبب القول عنه في الدائرة: إنه إمام الفكر الحر – حتى قال البغدادي[2]: (انفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيها)[3]، ومن تلك المسائل: أن الكفار والمشركين والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية يصيرون هم وأطفال المسلمين والبهائم تراباً يوم القيامة، مع خلود أصحاب الكبائر من أمة محمد في النار[4].

وذكر البغدادي عن سخافة ثمامة ومجونه أموراً عجيبة منها:

أن ثمامة رأى الناس يسرعون إلى المسجد وقت الجمعة، فقال ثمامة لرفيق له: انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر، ثم قال: ماذا صنع العربي بالناس؟. يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأن المأمون ركب يوماً فرأى ثمامة سكران قد وقع في الطين فقال له: ثمامة؟، قال: إي والله، قال: ألا تستحي؟، قال: لا والله، قال: عليك لعنة الله، قال ثمامة: تترى ثم تترى[5].

وقال الشهرستاني عنه: (كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار، إذا مات على فسقه من غير توبة)[6].

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢، الملل والنحل للشهرستاني ١/٧٠.

(٢) عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني إمام في الأصول والفروع توفي سنة ٤٢٩هـ، انظر: البداية والنهاية ١٢/٤٤.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢.

(٤) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢، الملل والنحل للشهرستاني ١/٧٠-٧١.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٣.

(٦) الملل والنحل للشهرستاني ١/٧٠.

فأين رجاحة العقل والفكر الحر، وهل هذا سلوك فريد عصره بالمعرفة والعلم؟، أم فريد عصره بالمجون والخلاعة؟.

إن ما تسميه الدائرة فكراً حراً إذا عارض القرآن فهو زندقة، وانحراف عن سائر المسلمين.

أما الجاحظ فقبل الخوض في ضلالته لابد من الإشارة إلى أن الالتزام بعقيدة القرآن ليس فيها مشقة بل هي الفطرة، وهي عقيدة جميع الأنبياء، والجاحظ لم يلتزم بتلك العقيدة، بل هو من المعتزلة المعطلين لصفات الله النافين لقضائه، بل تنسب إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة، ومن ضلالتها القول: أن لا فعل للإنسان سوى الإرادة، واستحالة عدم الأشياء بعد حدوثها، وأن الله لا يُدخل النار أحداً، وإنما هي تجذب أهلها بطبعها[1].

قال البغدادي عن تلك الفرقة: (الجاحظية أتباع عمرو بن بحر الجاحظ، وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ، في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول، ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنساناً، فضلاً أن ينسبوا إليه إحساناً)، ثم ذكر الكثير من ضلالاته[2].

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٦، الملل والنحل للشهرستاني ٧٥/١.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٥.

ثالثاً: الصوفية:

جاء في الدائرة محاولة إضفاء الشرعية على التصوف البدعي[١] من خلال أساليب شتى:

فتارة من خلال الإكثار في الدائرة من مصطلحات التصوف، حيث وردت بكثرة في الدائرة، وعلى سبيل المثال وردت المواد الآتية في ذلك:

(أوتاد)[٢]، و(البسط)[٣]، و(البردة)[٤]، و(البقاء والفناء)[٥]، و(بير)[٦]، و(التصوف)[٧]، و(الحال)[٨]، و(الحضرة)[٩]، و(الحقيقة)[١٠]، و (الخرقة)[١١]، و (الدوسة)[١٢]، و (الذكر)[١٣]، (الذكر)[١٣]، و (السبحة)[١٤]، و(السماع)[١٥]، و(الزاوية)[١٦]، و(الدرويش)[١٧]

---

(١) يلاحظ أن المترجمون للدائرة في الطبعة العربية الثالثة (طبعة الشارقة) حذفوا بعض مواد التصوف والتي يلحظ القارئ وجودها بالطبعات الأولى والثانية، وحسن ما فعلوا.

(٢) الدائرة الثانية ١٧٢/٥، أوتاد، قولد زيهر.

(٣) الدائرة الثانية ٢٣٩/٧، البسط، آربري، من أحوال الصوفي.

(٤) الدائرة الثانية ٣٠/٧-٣١، البردة، باسية.

(٥) الدائرة الثانية ٤٤٧/٧، بقاء وفناء، رحمن، من أحوال الصوفي.

(٦) الدائرة الثانية ٥٤٤/٨، بير، دون توقيع، والبير هو المرشد في الطريقة الصوفية.

(٧) الدائرة ٢١٧٩/٧-٢١٨٣، التصوف، ماسنيون.

(٨) الدائرة الثانية ٢٥٢/١٣، الحال، ماكدونالد.

(٩) الدائرة ٤٠٤٥/١٣-٤٠٤٦، حضرة، ماكدونالد، أي المثول في حضرة الله.

(١٠) الدائرة ٤٠٩٨/١٣-٤١٠١، الحقيقة، كارديه.

(١١) الدائرة ٤٦٣٨/١٥-٤٦٣٩، الخرقة، ايوار.

(١٢) الدائرة ٤٩٥٥/١٦-٤٩٥٧، الدوسة، ماكدونالد، وهو احتفال صوفي لطائفة السعدية في مصر.

(١٣) الدائرة ٤٩٨٧/١٦-٤٩٨٩، الذكر، ماكدونالد.

(١٤) الدائرة ٥٥٣٢/١٨-٥٥٣٤، السبحة، فنسنك.

(١٥) الدائرة ٥٨٥٦/١٩-٥٨٥٧، السماع، ماكدونالد.

(١٦) الدائرة ٥٢٣٩/١٧-٥٢٤٢، الزاوية، ليفي بروفنسال.

(١٧) الدائرة ٤٨٩١/١٦-٤٨٩٦، الدرويش، ماكدونالد.

(١٨) الدائرة ٨٣٤٦/٢٧-٨٣٤٧، قطب، ف. دي. سونج.

و (الولي)[1][2].

أما الفرق الصوفية فقد أفردت لها المواد الآتية:

(البيوميـــة)[3]، و (التيجانيـــة)[4]، و (الجلوتيـــة)[5]، و (الحريريـــة)[6]، و (الحلمانيـــة)[7]، و(الحمالية)[8]، و (الدرقاويـة)[9]، و (الرحمانيـة)[10]، و (الروشـنية)[11]، و (السـالمية)[12]، و(السـعدية)[13]، و (السـنبلية)[14]، و (الشـيخية)[15]، و (القادريـة)[16]، و (الموالـد)[17]، ونجد الكاتب في هذه المادة يسوق لبدعة المولد ويشنع على منكريه[18]، و(المولوية)[1]، و

---

(١) الدائرة ٣٢/١٠١٦٧-١٠١٧١، ولي، كارد فوه.

(٢) وقد علق الكاتب تعليقاً جميلاً بعد ذكر كثير من الخرافات والغلو في الأولياء بقوله: ومن الصعب إيجاد رباط بين هذه الأفكار والمذهب السني وعبادة الأولياء تتنافى تماماً مع القرآن الكريم، وقد ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التوسل للأحجار، كما نهى عن عبادة شخص أو شيء ليتقرب به العابد إلى زلفى، ومع هذا فالأولياء ينتشرون في العالم السني والشيعي على السواء. الدائرة (٣٢/١٠١٧٠).

(٣) الدائرة الثانية ٩/٧٥، البيومية، ايوار.

(٤) الدائرة ٧/٢٢١٤-٢٢٣٥، التيجانية، مرجليوث.

(٥) الدائرة الثانية ١٢/٢٣٩، الجلوتية، كلونيا.

(٦) الدائرة الثانية ١٤/١٨٢، الحريرية، ماسنيون.

(٧) الدائرة الأولى ٨/٥٣، الحلمانية، ماسنيون.

(٨) الدائرة الثانية ١٥/٤١٨، الحمالية، فروليش.

(٩) الدائرة ١٦/٤٨٧٩-٤٨٩١، درقاوي، كور.

(١٠) الدائرة ١٦/٥١٣٣-٥١٣٦، الرحمانية، مرجليوث.

(١١) الدائرة الأولى ١٠/٢٣٦، روشنية، مرجليوث.

(١٢) الدائرة ١٧/٥٤٤٠-٥٤٤٣، السالمية، ماسنيون.

(١٣) الدائرة ١٨/٥٦٦٥-٥٦٦٧، السعدية، مرجليوث.

(١٤) الدائرة ١٩/٥٨٨٤-٥٨٨٦، السنبلية، مرجليوث.

(١٥) الدائرة ٢٠/٦٣٨٨-٦٣٨٩، الشيخية، لا يوجد اسم.

(١٦) الدائرة ٢٥/٧٩٨١-٧٩٨٨، القادرية، مارجليوث.

(١٧) الدائرة ٣١/٩٧٤٧، الموالد، خ. فابرت.

(١٨) أورد فتوى السيوطي أنها بدعة حسنة، وكذلك الهيثمي وقطب الدين أما ابن الحاج وهو مالكي متشدد –كما يصفه – فهو يندد فيها في كتابه المدخل (الدائرة ٣١/٩٧٥١). ويضيف الكاتب: أن المنكر لها ومعظم هؤلاء الذين وقفوا ضد الاحتفال بالمولد بأشكاله التقليدية يبدو أنهم من أتباع المذهب الوهابي == ==(الدائرة

(الناصرية)[٢]، و (النقشبندية)[٣].

كما ذكرت عشرات الطرق تحت مادة (الطريقة) [٤].

إضافة إلى ما ذكر في ترجمة بعض رجاله كالبدوي[٥] والبسطامي[٦] وبكتاش[٧] والبكري[٨] والرفاعي[٩] والدسوقي[١٠] ورابعة العدوية[١١] والسبتي[١٢]، والسنوسي[١٣] والسهروردي[١٤]، والكوراني[١٥]، كما سبقت الإشارة إلى ابن عربي وابن الفارض والحلاج. وكان بالإمكان حصر تلك الأمور تحت مادة طريقة أو تصوف.

هذا بخلاف وجود التصوف في مواد البلدان وغيرها والذي لا نعترض عليه كوصف من غير مبالغة.

٩٧٥٣/٣١) وخلط بين نكار الموالد وبين توقير الأولياء، حيث يقول عن بعض المعارضين للموالد أنهم يعارضون معارضة قوية توقير الأولياء (الدائرة ٩٧٥٣/٣١).

(١) الدائرة ٩٧٤٧/٣١، المولوية، ف. دي. جون. مع أن هذه الطريقة اضمحلت وانتهت حسب ما ذكره الكاتب في نفس المادة.

(٢) الدائرة ٩٨٧٤/٣١، الناصرية، يواقيم رزق.

(٣) الدائرة ٩٩٦٠/٣٢-٩٩٦٤، النقشبندية، نظامي.

(٤) الدائرة ٦٨٤٧/٢٢-٦٨٦٦، الطريقة، ماسنيون.

(٥) الدائرة ٤٧٤/١-٤٨٩، أحمد البدوي، فولرز- وليتمان.

(٦) الدائرة ٤٣١/١-٤٣٤، أبو يزيد البسطامي، ريتر.

(٧) الدائرة الثانية ٤٦٧/٧، بكتاش، تشودي.

(٨) الدائرة ١٨٠١/٦-١٨١٦، البكري، بروكلمان.

(٩) الدائرة ٥١٧٣/١٦-٥١٧٧، الرفاعي، مرجليوث.

(١٠) الدائرة ٤٩٠١/١٦-٤٩٠٥، الدسوقي، مرجليوث.

(١١) الدائرة ٥٠٤١/١٦-٥٠٤٥، رابعة العدوية، مرغيث سميث.

(١٢) الدائرة ٥٥٢٨/١٨-٥٥٢٩، السبتي، محمد بن شنب. والسبتي ٦٠١هـ في اعتقاد جمهرة الناس في مراكش أن هذا الولي هو سيد الرياح ويبتهل إليه الملاحون لتهدئة العاصفة أو لإثارة الريح إذا ركدت.

(١٣) الدائرة ٥٩٠٨/١٩-٥٩١٣، السنوسي، صبحي.

(١٤) الدائرة ٥٩١٤/١٩-٥٩٣٥، السهروردي، فان دان برغ.

(١٥) الدائرة ٨٦٥٣/٢٨-٨٦٥٥، الكوراني، أ. هـ. جونز.

إن المطلع على الدائرة ليظن أن التصوف جزء من الإسلام لا يتم بدونه فنجد المواد الكثيرة والتفصيلات الدقيقة عن التصوف، التي لا وزن لها، وبالرغم من ذلك يفرد لها المواد والصفحات الكثيرة، ويتجلى ذلك في كثرة المواد المعنونة بمصطلحات التصوف، كما يوجد عند ذكر تراجم أعلامها، بل تعدى الأمر إلى غلبة عادات التصوف على الحقائق الشرعية في بعض المواد، فمثلاً في مادة الذكر عرض مشوش في صفحتين تقريباً بدأ بالتعريف الديني الذي زعم الكاتب بأنه (تمجيد لله بعبارات محددة معينة تردد بحسب ترتيب الشعائر، ويكون ترديدها جهرة أو سراً مصحوبة بشهقات خاصة وحركات جسمانية معينة)، ثم الخلاف في الجهر أو الإسرار به، وساق آية الأحزاب وحديث حضور الملائكة للذكر ثم خلاف المتصوفة في تفاصيله[1].

بينما كان الواجب أن يأتي بمعناه الشرعي الذي لا علاقة له بالشهقات والحركات، وفضله في الكتاب والسنة، وأثره على حياة المسلم، ثم أهم الأذكار المشروعة وفضل كل منها، وأهم الكتب التي عنيت بالذكر، ثم ما أحدثه المتصوفة من بدع مخالفة للشريعة[2].

وكثيراً ما يُسكت عن انحرافاتهم عند الحديث عن أساطينهم دون الإشارة إلى مخالفتهم للإسلام، أو انتقاد علماء المسلمين لهم، وكمثال على ذلك امتداح البردة للبوصيري دون أن يشار إلى مخالفتها لعقيدة التوحيد من قريب أو بعيد أو حتى كلام علماء السنة فيها، وانتقادهم لبعض أبياتها، بل تذكر أهميتها وشهرتها، وما يشاع من خوارق لها، ويُعرض عن الرأي الآخر حولها[3].

---

(١) الدائرة ١٦/٤٩٨٧-٤٩٨٩، الذكر، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٢٩/٨٩٨٦، المالكية، كوتارت.

ومن التعليقات الممتازة تحت عنوان المالكية والتصوف في نفس المادة: كمبدأ لا مكان للتصوف في مدرسة مالك، فهناك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ينهى عن الرهبانية بل يعتبرها بدعة، ولكن هناك اتجاه نحو الزهد لم يلفت الأنظار حتى القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، ولكن نتيجة للنشاط الفكري الكبير الذي حدث في الشرق الإسلامي ابتداءً من نهاية ذلك القرن انتشرت الصوفية انتشاراً كبيراً وبلغت حجماً مزعجاً بالنسبة للاعتدال الذي كان سائداً.

(٣) الدائرة الثانية ٧/٣٠-٣١، البردة، باسية.

ومن المفارقات العجيبة أنهم عند الحديث عن رموز أهل السنة والحديث، فإنهم يفتشون عن أي منتقد لهم، أو يلصقون بهم ما يشوه سيرتهم من تهم ليس لها مستند علمي وبغير توثيق حيث لم يسلم منهم الصحابة الكرام[1] ولا علماء الإسلام[2].

بل جاء دفاع عن الصوفية وانتقاد لمن بدعهم بصورة مباشرة، حيث جاء في ترجمة ابن تيمية: وطعنه كذلك على الرجال الذين يعدون حجة في الإسلام، كما هاجم محي الدين بن عربي، وعمر بن الفارض والصوفية بوجه عام[3].

وفي ترجمة ابن عربي: وابن عربي مع قيامه بفرائض الإسلام وتمسكه بعقائده، كان رائده الوحيد هو ذلك النور الباطني الذي أفاض الله عليه على ما كان يعتقده، وذهب ابن عربي إلى أن الوجود كله واحد[4].

وفي ترجمة الحلاج: تصوره مظلوم مفترى عليه، تدبر عليه الحيل حتى انتهى الأمر إلى قتله الذي كان الدافع له مكائد دينية وسياسية، وكانت مطالب الحلاج بالإصلاح الروحي وأثره في الناس مصدر إزعاج لكثير ممن كانوا في السلطة، بل جاء أن عقيدته تؤكد تمسكه بمذهب أهل السنة عن بصيرة[5].

---

(١) انظر ما يتعلق بالصحابة رضي الله عنهم حيث اتهم الأنصار رضي الله عنهم بقلة الحماس في الجهاد في (الدائرة ١٣٨١/٥، أنصار، كندروف) وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بأبو بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم (الدائرة الثانية ١٦٣/١٥، فاليري) وعائشة رضي الله عنها في (الدائرة ٧٠٣٧/٢٢-٧٠٤٢، عائشة، منتقمري وات).

(٢) حيث اتهموا أبا حنيفة بقلة العناية بالتطبيق، (انظر: الدائرة ٣٢١/١، أبو حنيفة، شاخت). ووصفوا مذهب الإمام مالك بالتشدد، (انظر: الدائرة الثانية ٢٢٩/١، ابن تومرت، رينيه باسيه) والإمام الشافعي بقلة التوفيق في أصول الفقه (انظر الدائرة ٨٤٣/٣، أصول، شاخت) واتهموا مذهب الإمام أحمد بالتعصب والتشبيه والحشوية. (انظر: الدائرة الثانية ٥١٢/٢، أحمد بن حنبل، لاوست) .

(٣) الدائرة ١٤٤/١، ابن تيمية، محمد بن شنب.

(٤) الدائرة الثانية ٣٤٤/١، ابن عربي، فاير.

(٥) الدائرة ٤٢٢٩/١٤-٤٢٣٧، الحلاج، كارديه.

وقد جاءت في الدائرة ترجمتان للحلاج، الأولى في الطبعة الأولى لماسنيون[1]، الذي دافع دافع عن الحلاج ووصف منتقدوه بالسطحية وأنه شخصية فذة[2]، وهي أجود من ترجمة كارديه في الطبعة الثانية[3] وقد دمجت الترجمتان في الدائرة في الطباعة العربية الثالثة[4].

قلت في هذه النصوص ما يستوجب التنبيه وبيانه:

أولاً: ليس هناك حجة في الإسلام إلا الكتاب والسنة بإجماع الأمة، وحتى الصحابة والتابعين فليس واحد منهم حجة فضلاً عن أولئك المنحرفين الذين ذكرهم الكاتب، وعجبت أن يقال ذلك في دائرة معارف إسلامية.

ثانياً: ما يتعلق بابن عربي فقد صرح بعقيدة وحدة الوجود وتكافؤ الأديان، كما صرحت بذلك نفس الدائرة[5].

وذكر انحرافه عامة المؤرخين، فقد قال ابن كثير[6] عن كتابه الفصوص المكية: فيها ما يفعل وما لا يفعل، وما ينكر وما لا ينكر وما يعرف وما لا يعرف[7]، وقال عن كتابه فصوص الحكم: وفيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح[8].

---

(١) ماسنيون: مستشرق فرنسي عاش فترة في الجزائر – المغرب العربي – تتلمذ على قولد زيهر، ودرس في القاهرة، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي، حصل على الدكتوراه عن بحثه عن الحلاج، درس في جامعة باريس== ==حتى تقاعد، عمل مستشاراً للحكومة الفرنسية في شئون شمال أفريقيا اهتم بالتصوف وكتب عنه. (انظر: المستشرقون للعقيقي (١/٢٦٣-٢٦٨. وموسوعة المستشرقون لبدوي ٣٦٣/٣٧٠).

(٢) الدائرة الأولى ٨/١٧-١٨، الحلاج، ماسنيون.

(٣) الدائرة الثانية، ١٥/٣٦٦-٣٦٧، الحلاج، كارديه.

(٤) الدائرة ١٤/٤٢٢٩-٤٢٣٧، الحلاج، ماسنوين، كارديه.

(٥) الدائرة ١/٢٤٩، ابن عربي، فاير.

(٦) ابن كثير: .

(٧) البداية والنهاية ١٣/١٥٦.

(٨) البداية والنهاية ١٣/١٥٦.

وقال المؤرخ الإسلامي الذهبي[1]: من أردأ تواليفه كتاب الفصوص فإنه كان لا كفر فيه، في الدين كفر[2].

وأما ابن الفارض[3] فهو يصرح بالاتحاد في تائيته، ومما جاء فيها:

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل سجدة[4]

وأما الحلاج فباعتراف الدائرة أن غالب الفقهاء بل إجماع الفقهاء الذين أدانوه كفروه، أو أنكروا قوله[5].

وقد قال الإمام الذهبي: يتبين الاتحاد الصريح في شعره[6]، ونقله بدوره ابن حجر عنه[7]. عنه[7].

وقال ابن النديم[8] في الفهرست: كان رجلاً محتالاً مشعبذاً يتعاطى مذاهب الصوفية[9]. الصوفية[9].

---

(١) الذهبي: محمد بن علي بن الحسن، ويرجع نسبه إلى الحسين بن علي، ولد وعاش ونفي بدمشيق ٧١٥-٧٦٥هـ، وتتلمذ على كبار علمائها، واهتم بالحديث والتاريخ والرجال، قال العراقي لما سئل عن أربعة أيهم أحفظ: ملغاطاي، وابن كثير، وابن رافع، والحسيني؟ قال: أعرفهم بالشيوخ المعاصرين وبالتخريج الحسيني. (انظر تذكرة الحفاظ، مقدمة ذيل تذكرة الحفاظ ٥/ب-ح).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣.

(٣) ابن الفارض: عمر بن علي بن مرشد حمي الأصل، مصري المولد والوفاة، فيلسوف وشاعر متصوف عاشق، قال بوحدة الوجود، له تائيته المشهورة نظم السلوك، مات سنة ٦٣٢هـ. (انظر: البداية والنهاية ١٤٣/١٣).

(٤) انظر ديوان ابن الفارض، ص: ٩٥.

(٥) الدائرة ٤٢٤٢/١٤-٤٢٤٣، الحلاج، ماسنيون، كارديه.

(٦) ميزان الاعتدال ٢١٤/٣-٢١٥.

(٧) لسان الميزان ٣٦٤/٤.

(٨) ابن النديم: محمد بن إسحاق بن النديم البغدادي، كان معتزلياً شيعياً يصف أهل السنة بالحشوية، كما يقول ابن حجر العسقلاني، توفي ابن النديم سنة ٤٣٨هـ، (انظر: لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، ٧٢/٥، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م).

(٩) الفهرست، ابن النديم ٢٦٩.

بل حتى الصوفية أنكروا قوله، فهذا عمرو بن عثمان المكي[1] يقول: كنت أماشي الحلاج وكنت أقرأ القرآن، فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته[2].

وقال ابن الجوزي[3]: كان الحلاج متلون وهو مع كل قوم على مذهبهم[4].

وقال ابن تيمية[5]: ومن اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل عليها فهو مرتد باتفاق المسلمين[6].

أبعد هذا يقال أنه حجة في الإسلام!!.

---

(١) عمرو بن عثمان المكي: عمرو بن عثمان بن كرب أبو عبدالله المكي، شيخ الصوفية الزاهد، له تصانيف عديدة، وكان ينكر على الحلاج ويذمه، توفي بعد الثلاثمائة. (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٤/٥٧).

(٢) البداية والنهاية ١١/١٣٣.

(٣) البداية والنهاية ١١/١٣٧.

(٤) البداية والنهاية ١١/١٣٧.

(٥) ابن تيمية: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ٦٦١-٧٢٨هـ، ولد في بيت علم حفظ القرآن الكريم صغيراً وقرأ الحديث واللغة والتفسير والفقه، فأحكم كل ذلك، وهو لم يتعد التاسعة عشرة، وانتهت إليه الإمام في الزهد والورع والعلم والشجاعة والكرم، وجاهد الكفار بالسيف والقلم. (انظر العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد عبدالهادي، مطبعة المدني، القاهرة، دطت، والبداية والنهاية ١٤/٢٣-١٢٤).

(٦) مجموع الفتاوى ٢/٤٨٠.

مراجع البحث

١- **القرآن الكريم**.

٢- **الإسلام**: هنري باسيه، ترجمة بهيج شعبان، تعليق مصطفى الرافعي ومحمد جواد مغنية، طبع في عويدات، بيروت، دطت.

٣- **الإسلام والغرب**: دان بول رد، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٦٠م.

٤- **الأعلام**: قاموس وتراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٥- **إظهار الحق**: رحمة الله بن خليل الهندي، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٦- **البداية والنهاية**: إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧- **تاريخ بغداد**: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

٨- **تفسير بن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم**: إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩- **الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الأثنى عشرية**: محب الدين الخطيب، ددطت.

١٠- **دائرة المعارف الإسلامية**: (الإصدار الأول)، أعلام المستشرقين، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام، دار الفكر، القاهرة ١٩٣٣م.

١١- **دائرة المعارف الإسلامية**: (الإصدار الأول)، أعلام المستشرقين، تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

١٢- **دائرة المعارف الإسلامية**: (الإصدار الثالث)، مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٣- **رجال اختلف فيهم الرأي**: أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة، دطت.

١٤- **رجال الكشي**: محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي، تقديم أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، دطت.

١٥- **سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية**: أنور الجندي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٦- **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٧- **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: محمد بن أحمد بن عبدالهادي، مطبعة المدني، القاهرة، دطت.

١٨- **العقيدة والشريعة في الإسلام**: قولد زيهر، ترجمة وتعليق محمد يوسف موسى وأخرون، دار الكتاب الحديث بمصر، الطبعة الثانية، دت.

١٩- **عودة الحجاب**: محمد بن احمد المقدم، دار طيبة، الرياض، دطت.

٢٠- **الفرق بين الفرق**: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرف، بيروت، دطت.

٢١- **لسان الميزان**: أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.

٢٢- **المستشرقون**: نجيب عقيقي، دار المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، دت.

٢٣- **مستشرقون، سياسيون،جامعيون،مجمعيون**: نذير حمدان، مكتبة الصديق للنشر، الطائف، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٤- **الملل والنحل**: محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار لمعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢٥- **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٦- **المنتظم من تاريخ الملوك والأمم**: عبدالرحمن بن علي الجوزي، حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

٢٧- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٨- **موسوعة المستشرقين**: عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.